رسالة طالبة

# رسائل بلا حدود

اختارت رؤى تربوية نشر رسالة فاطمة ماهر من مدرسة أم صفا الأساسية المختلطة، لكونها تمثّل تجربة لمدرسة وطالبة، ولكونها مشاركة في مسابقة لم تلقَ من الإنصاف ما تستحق. ولكي نُسمع الكبار صوت الصغار أو لنمنح الكبار فرصة الإنصات لصوت الطفولة فيهم ولنعطيَّ الصوت لمن كتب عليهم لكونهم أطفالا أن يصب في آذانهم/ن أصوات الآخرين لأنهم كبار فقط.

كتابة الطالبة فاطمة، كتابة لم تعد اللغة فيها مجرد كلمات، بل أضحت ألواناً وخطوطاً ونغمات، ولم تعد الكتابة مجرد لوح من الزجاج نرى من خلاله العالم الحقيقي، بحيث قامت الكتابة بعملية تصويره فقط، بل هي كتابة لم يعد هناك عالم خارجها، فالكتابة هنا هي النص، والنص هو العالم والمعنى، فكما في المسابقة المشهورة بين الرسامين اليونانيين: زيوكسيس وباراسيوس، عندما قال الأول للثاني: لو أزحت الستائر، لأرى اللوحة وأحكم.

فقال الثاني: إن الستائر هي اللوحة. فأعلن الأول هزيمته، وهكذا في عالم الكتابة، ليس هناك عالم خارجها ولا معنى خلفها، فالنص هو المعنى كما أن الستائر هي اللوحة.

## إلى مَن كان مِن الممكن أن يكون صديقي

إلى طفل يهودي (فلاشا) يسكن في مستوطنة «حلميش» الرابضة على أرض قريتي التي تم ويتم مصادرتها يومياً.

أيها الطفل، يا من كان من الممكن أن يكون صديقي، يا من جئت من بلادٍ بعيدة، بلاد أكثر قرباً من بلدي إلى الشمس، فحرارتها اللاهبة مطبوعة في معالم وجهك، فاللون الأسود وخشونة الشعر توحي بمناخ أراضٍ أخرى، جئت من بلادٍ بعيدة تحمل حقيبتك وفطائرك، دفاترك وأقلامك، علبة الألوان. جئت إلى بلدي لست سائحاً ولا زائراً، لو كنت كذلك لربما كنت صديقي، لو جئت لتشاركني دفء الحياة والاستمتاع معي بالماء والهواء، وجئتني زائراً أو ضيفاً لربما كنت صديقي.

لكنك جئت لتسلبني دفء الأرض ونعومة السماء وشفافية الفضاء، جئت لتأخذ حقي في الماء والهواء والتنفس، أحضرت معك أقلامك لتكتب تاريخ موتي وترسم بألوانك «فصول مأساتي»، فكيف تكون في مستوطنتك (التي كانت صغيرة) وتمددت على أرض قريتي، لتلتهم وتفترس، ملعب القرية، حرش القرية، منابع الماء، ضجيج الهواء، حفيف الورق وزقزقة العصافير، فكلما زاد عدد زملائك في المدرسة قلَّ عدد زملائي، وكلما نمت مستوطنتك تقلصت حدود قريتي وحدود روحي، حضرت مع والديك لأحرم من والدي، هل جئت لتستمتع في الهدوء على أرض قريتي، الهدوء المقتول بضجيج دباباتكم وطائراتكم وصوت معسكر الجنود ومولدات الكهرباء فيه، والأجهزة الأخرى التي طردت هدوءنا، مكبرات صوتكم تحبس أرواحنا في أجسادنا قبل أن تحبس أجسادنا في البيوت.

كيف أتيت إلى هنا؟ كيف تركت بيتك؟ أدرك كيف حملت معك أغراضك، لكن ما لم أتمكن من إدراكه، وأسألك الإجابة عنه، هو

كيف تمكنت من إحضار ذكرياتك الجميلة هناك حيث كنت هناك، أتركتها هناك؟ أتركت أرض ميلادك، وضريح جدك وحكايات جدتك، وطفولة أبيك وأمك، أبدلت أرضاً بأرضٍ، وهل كل الأراضي متساوية؟ لا، إنَّ لأرض تعرفك تختلف عن أرضٍ تستغرب ملامحك. أرض لم تألف صدى خطواتك ولا لغتك.

أنا هنا منذ «بعل» منذ «أنات»، منذ العهدة العمرية، منذ تشكُّل سطح الأرض وتهيّأ لحمل الإنسان، لم أحضر من مكان آخر، نبتٌ من بطن الأرض، أنا والزهرة والعصفور والحصان، جئنا معاً، سمعوا صرخة ميلادي الأولى، ومنذ صرختي الأولى وأنا أدور هنا، أتنقل مع الفراشات بين الأزهار وأعانق التراب والمساء والهواء، أتنفس هواء أجدادي وأشرب نفس الماء الذي شربوه يوماً ما، أزور قبورهم، أطرح لهم عليها وردة في الأعياد، ليعلموا أني ما زلت باقيةً هنا، حيث يرقدون، وحيث ولدت وعشت وسأرقد....

يا من كنت ستكون صديقي، أُصدقني القول، هل عرفتك هذه الأرض، هل فهمت لغتك؟ منذ آلاف السنين وهذه الأرض تعرف وجهي وتتكلم لغتي، وقلّ لي ماذا يعلمونك هنا، هل علَّموك استعمال البنادق وحفر الخنادق، هل تجيد إطلاق الرصاص، هل علموك تاريخ البشر المزوَّر بحروف التوراة، فماذا قالوا لك عني، أقالوا لك عني أني بدائيٌّ متطرف، إرهابي متخلف؟ لو كنت صديقي، لو تمكنت من ذلك، لعلَّمتك كيف تجعل الأرض تحبك، لعلمتك حكايات جدتي عن تاريخ هذه الأرض، لعلمتك ما علَّمني أبي كيف تسبح على ظهر حصان، يداعب بحوافره بطن الأرض فتستجيب على إيقاع خطوهِ راقصة، لعلمتك ما علمتني أمي كيف تشتل سطح الأرض بأشتال الخس وأحواض النعنع والزعتر والميرمية، لو كنت صديقي لأطعمتك كعك أمي، لترى وتذوق طعم الأرض ونكهة الهواء الممزوجة برائحة الطابون، قمح الأرض معجون بزيتها، مملوء بزعترها، مخبوز بنار حطبها، هذا هو كعك أمي...

يا من ستكون صديقي:

هذا لي، وهذه قريتي ومدرستي، هذا وطني، ولظروف وأوضاع سياسية وعالمية التقينا هنا، أقدارٌ ما جمعتنا هنا، بقينا هنا، كلانا هنا، لكن هنا لي فاذهب، فاذهب ليس إلى الجحيم بل إلى حياةٍ راغدةٍ وواعدةٍ لكن ليس هنا، بل هناك، إلى حيث كنت، وإلى من حيث أتيت، وعندها قد تكون صديقي.

«إلى من أتمنى أن يكون صديقي»

**فاطمة ماهر سعيد صباح**
مدرسة أم صفا الأساسية المختلطة
الصف الثامن الأساسي

## إعلان للمعلمين والمعلمات

تعلن مكتبة مركز القطان في رام الله أنها قد قررت زيادة عدد أيام دوامها الأسبوعي لتصبح ستة أيام، وبناء على اقتراحات روّاد المكتبة تم إقرار يوم الجمعة كيوم إضافي يلائم معظم من شملهم الاستبيان، لذلك تقرر فتح المكتبة أيام الجمعة ابتداء من مطلع أيلول 2003، كإجراء مؤقت وقابل للتعديل من خلال استبدال يوم الجمعة بيوم الأحد، أو بساعات مسائية حسبما يرتئي روّاد المكتبة، وبناء على اقتراحاتهم نرحب بكم وباقتراحاتكم لتفعيل دور المكتبة وتمكينها من تقديم المزيد من الإفادة لكم.